ـ الحضور الاقتصادي ليهود الأندلس في بلاد المغرب (ق08-09 هـ/14-15م)ـ المغرب الأوسط أنموذجا ـ

The economic presence of Andalusian Jews in the Maghreb (08-09 HC - –/ 14-15 AD) - the Central Maghreb as a model

شواطي فتحي[1]* ،شريفي أحمد[2]

[1]جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، fathi.chaouati@univ-alger2.dz

[2]جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، dr.a.cherifi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/11/25 تاريخ القبول: 2023/12/22 تاريخ النشر: 2024/01/31

ملخص: ركز هذا البحث على إبراز حضور يهود الأندلس في المغرب الاوسط ودورهم وتأثيرهم في الجانب الاقتصادي بالخصوص بعد سقوط غرناطة ، ومعاناة هؤلاء من التضييق مما أجبرهم على الهجرة نحو بلاد المغرب ، مما أدى الى تحول موازين القوة الاقتصادية والتجارية لليهود من الضفة الشمالية للمتوسط وانتقالها جنوبا ، وكيف أصبحت هذه الأقلية تتحكم في الاسواق والموانئ وطرق التجارة ،ولم يتوقف طموح يهود الأندلس عند هذا الحد بل زاد تغلغلهم وسط المجتمع المغربي إلى أن أصبحوا يتدخلون في السياسة والحكم ،ويقصد بذلك فترة الدولة الزيانية وهو ما يدل على قدرة هؤلاء على الانسياب والتأثير في المجتمعات ومن عدة جوانب.

كلمات مفتاحية: يهود الاندلس، المغرب الأوسط،التجارة،الدولة الزيانية.

Abstract: This research focuses on the presence of Andalusian Jews in the Central Maghreb and their influence in the economic field, especially after the fall of Granada.their suffering from

* المؤلف المرسل

restrictions, forced them to migrate towards the Maghreb, leading to to a shift in the balance of economic and commercial power of the Jews from the northern bank of the Mediterranean to the south, and how This minority came to control the markets, ports, andtrade routes.

the ambition of the Jews of Andalusia did not stop there, but rather their penetration into Maghreb society increased until they began to interfere in politics and governance. This refers to the period of the Zayanid, denoting the ability of that community to getin and influence societies in various aspects.

Keywords: Andalusian Jews; Central Maghreb; commercial; the Zayanid state

1. مقدمة: تمتع أهل الذمة من اليهود والنصارى في الأندلس بالحرية والعدل في ظل النظام الإسلامي ، إلا أن الأوضاع التي عرفتها هذه البلاد - الأندلس- خلال القرنين 14 والـ 15 بالخصوص ،دفع باليهود إلى الهجرة القسرية نحو شمال افريقيا وبلاد المغرب على وجه الخصوص ، وسرعان ما تمكن هؤلاء من الاندماج في المجتمع وفي كنف الدين الإسلامي ، فكان منهم أصحاب الصنائع والمال.

وخلال فترة زمنية قصيرة لعب هؤلاء دورا كبيرا على الساحة الاقتصادية في بلاد المغرب بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة ،كانت هذه الفئة تمارس أنشطة عديدة إلى جانب أنهم برعوا في التجارة ، وشيئا فشيئا تمكنوا من السيطرة على أهم نشاط تجاري بالمنطقة ألا وهو تجارة الذهب والرقيق ،وبعد سيطرتهم على هذا المجال الذي يعتبر حيويا في تلك الفترة ، انتقلوا الى المرحلة الثانية المتمثلة في التحكم في أهم الموانيء وطرق التجارة التي تربط بلاد المغرب مع أوروبا والمشرق ، ولم يستتب الأمر لهم إلا بعد سقوط الدولتين المرابطية والموحدية اللتان كانتا تكبحان نشاطهم بالمنطقة.

بعد خلو الطريق أمام هؤلاء ،سارعوا الى بسط نفوذهم الاقتصادي أكثر في المغرب الأوسط خلال فترة الدولة الزيانية ، التي فتحت لهم المجال بتولي المناصب الهامة في الدولة ،مما انعكس على الأوضاع الداخلية والخارجية.

إن الحديث عن موضوع الحضور الاقتصادي ليهود الأندلس في بلاد المغرب يحتم علينا الإجابة على مجموعة من الأسئلة أهمها : ما هي جملة العوامل التي جعلت يهود الأندلس يختارون بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط على الخصوص لممارسة التجارة ؟ وهل استطاع التجار اليهود أن يجدوا لهم مكانة اقتصادية في ظل المنافسة الشرسة مع التجار المغاربة ؟ وما هي أهم الجوانب الاقتصادية والحرف التي مارسوها وبرزوا فيها بحيث استطاعوا غزو الأسواق وتميزوا بنشاط دون غيره؟

وللاجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على سرد الأحداث ووصفها الى جانب المنهج التحليلي الذي يقوم على فهم الأحداث وبالتالي التمكن من تفسيرها.

ومن أهم المصادر التي خدمت الموضوع في الجانب الاقتصادي نذكر: نفح الطيب للمقري التلمساني والانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع وكتاب المسالك والممالك للاصطخري أما فيما يخص المراجع فنذكر على سبيل المثال كتاب اليهود في المغرب الإسلامي للدكتورة فاطمة بوعمامة.

2- اليهود المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

ذكرهم الله عز وجل في القرآن الكريم في عدة مواضع كقوله تعالى:" وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَاؤُهُ " (الكريم، سورة طه الأية 114) ، وقوله عز وجل:" وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ " (الكريم، سورة التوبة ،الآية 30).

كلمة اليهود مشتقة في الأصل من قولهم هدنا اليك (الأصفهاني، د.ت، صفحة 564) ،ويقول ابن منظور في كتابه لسان العرب أنها تسمية أطلقت على بقايا جماعة يهوذا الذين رحلوا الى بابل في القرن 06 ق.م ومملكة يهوذا المنقرضة. (منظور، د.ت، صفحة 439)

ويذكر أمين الخولي في الملل ذلك لكونهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة. (الخولي، 2006، صفحة 166)

اختلف المؤرخون والباحثون في سبب تسمية اليهود بهذا الاسم: فقد قيل لانها كلمة عربية من الهَود أي التوبة والرجوع إلى الحق والعمل الصالح. (الزغبي، 1998، صفحة 61)

ويذكر القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن بأنها مشتقة من الهوادة أي السكون ،والموادعة وهدنا إليك أي سكنا إلى أمرك (القرطبي، 2006، الصفحات 158-159)،بينما ذهب آخرون إلى أن سبب التسمية إلى أنهم كانوا يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة. (الثعلبي، 2002، صفحة 13)

ويرجع بعض الباحثين منهم أحمد سالم رحال نسبة اليهود إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام، فقلبت العرب الذال الى دال (رحال، 2008، صفحة 22) ،ويرى حسن ظاظا ان اسم يهوذا مشتق لغويا من أصل سامي قديم وهو (وُدي) ، والذي يتكون من اسمين " يَهوه " وتعني الرَّب و " ود " وتعني الاعتراف والاقرار بالجزاء وبالتالي معنى الكلمة شكر الاله. (ظاظا، 1999، صفحة 24)

وتجدر الاشارة الى ان استخدام هذه التسمية - اليهود - يرجع أول مرة الى مملكة الجنوب بعد انفصالها عن مملكة الشمال ،والتي أصبحت تسمى مملكة يهوذا ، وشاعت تسمية اليهود أثناء السبي البابلي (586- 539 ق.م). (الزغبي ف.، 1994، صفحة 78)

بالإضافة إلى لفظ اليهود ، هناك أسماء أخرى أطلقت على اليهود لا يتسع المجال لذكرها ، منها العبريون وبنو اسرائيل. (الله، د.ت، الصفحات 23-26)

3-هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الأوسط:

بعد تعرض يهود الأندلس لمعاملة قاسية في العهد القوطي (فوزي، جانفي 1996)، ومعاناتهم من الاضطهاد النصراني وإجبارهم على اعتناق المسيحية ، انتقلوا من المدن الأندلسية والرُّبض (الاسلامية، د.ت، صفحة 87) التي كانوا يسكنونها لا سيما مدينة غرناطة ، مما دفعهم إلى الهجرة نحو بلاد المغرب بعد سقوط الأندلس عام 1492 م .

عرفت الدولة الزيانية في نهاية القرن 08 هـ/14م هجرات عديدة من اليهود خاصة من ميورقة و أراغون وقشتالة ،والعوامل التي ساعدت على ذلك سماحة الإسلام وحفاوة الترحيب والاستقبال من طرف ملوك الدولة الزيانية (عنان، 1990، الصفحات 39-40)،ولقد عرفت العديد من مدن المغرب الأوسط هجرات كثيرة ليهود الأندلس بعد سقوط غرناطة ، والذين استقروا بعدها في كثير من مدنه على غرار وهران تلمسان و الجزائر. (بوعمامة، 2008 / 2009، صفحة 58)

4ـ أوضاع يهود الأندلس بالمغرب الأوسط:

يشير المؤرخ موريس لومبير في كتابه الإسلام في مجده الأول أن: سماحة الدين الإسلامي وطبيعة حكام بلاد المغرب ، لم تجعل حواجز أو ضغوطات على أهل الذّمة ، بل جعلت لهم امتيازات سمحت لهم بممارسة النشاط الاقتصادي ، فامتهنوا الحرف وزاولوا الزراعة وبرزوا في المجال التجاري. (لومبير، 1979، صفحة 118)

ففي نهاية القرن 08 هـ/14 م عرفت الدولة الزيانية (الميلي، 1986، صفحة 439)هجرة يهود الأندلس الذين سيطروا على المجال الصناعي والتجاري ، مما أدى إلى ظهور منافسة شديدة مع اليهود الاهالي (بوعمامة، 2008 / 2009، صفحة 213)

5 ـ التجارة الخارجية ودور اليهود القادمين من الاندلس:

أ/ـ التجارة الخارجية : " اليهود هم الشريحة التي حظيت بوضعية اقتصادية هامة ، ولا عجب في ذلك فإن سياسة التعامل التي حرص أهل العلم من المسلمين الأخذ بها هي التي أسّست لهذا المناخ من الحرية " (بلبشير، 2010/2009، صفحة 132)

برز دور اليهود في المبادلات التجارية خلال ق07هـ/ 13 م (ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، صفحة 118)، خاصة بعد سقوط الدولة الموحدية ، وتبلور الأحداث داخل حوض المتوسط وإفريقيا السوداء ، وأبرز هذه الأحداث هجرة يهود إسبانيا الى بلاد المغرب بعد أحداث البليار سنة 689 هـ/ 1391م، مما أدى إلى ظهور خزّان من اليد العاملة وبروز نوعان من التجار، الأول يقوم بالرحلات التجارية والثاني يمثل شركاء المموّلين أصحاب السفن لاستثمار رؤوس الأموال التي يتعاملون بها مع تجار المغرب.

ويقول المؤرخ غوتن:" كان يهود الأندلس يجلبون معهم إلى المغرب الأقمشة الحريرية والنحاس وصبغة النيلة ويستوردون منها الكُحل "(Freitz, pp. 51-55) ،ولقد أبرم تجار مارسيليا اليهود مجموعة من العقود مع بلاد المغرب نلخصها في الجدول الموالي:

جدول 01:-يبين مجموعة العقود المبرمة بين تجار مارسيليا وبلاد المغرب خلال القرن 14م:

البلد	مجموع العقود	العقود الخاصة باليهود

ـ المغرب الأدنى	05-	00-
ـ المغرب الأوسط	90-	22-
ـ المغرب الأقصى	29-	02-

المرجع:(نميش، 2013 / 2014، الصفحات 66-67)

من خلال الجدول نلاحظ أن عدد العقود التجارية مع المغرب الأوسط كانت أعلى من المغربين الادنى والاقصى بكثير ، وربما يعود هذا الى ملائمة الظروف (الموقع الاستراتيجي وقرب المسافة ووفرة الموانئ...) بالمقارنة مع الاقليمين الآخرين.

ـ في سنة 726هـ/ 1328 م انتقل يهود ميورقة الى مستغانم للتجارة هروبا من الضرائب المفروضة عليهم (بوعمامة، 2008 / 2009، صفحة 240) ، كما كان لليهود دور في تنشيط الحركة التجارية من ميورقة و أراغون مع المغرب وهذا الجدول يلخص أهم التجار اليهود في المغرب الأوسط. (نميش، 2013 / 2014، الصفحات 68-69)

جدول 02:-يبين أهم التجار اليهود في المغرب الأوسط خلال القرن 14م:

البلد	اسم التاجر	الوجهة	السنة
ميو رقة	ـ ألستر مينيخ Alastar ـ أستروك أنتون Astrush Antin ـ فزماتي أبراهام Fzmati Abraham	ـ مزغران ـ مزغرانـ مستغانم ـ تنس	ـ 717هـ/1319م ـ 727هـ ـ 728هـ ـ 1327م - 1330م ـ 728هـ/ 1330م

المرجع:(نميش، 2013 / 2014، صفحة 72)

ومن خلال الجدول يتضح لنا تركيز يهود الأندلس على الاستثمار والتعامل مع المدن التي تقع غرب المغرب الأوسط وذلك يعود لقربها الجغرافي من بلاد الأندلس وكذلك لان هذه المدن كانت تعرف زخما وحركية اقتصادية وتجارية بالمقارنة مع المناطق الأخرى ،و تجدر الإشارة إلى أن هذه الأحداث وقعت زمن الدولة الزيانية (633- 962هـ / 1235-1554 م)

وقد تعددت الرحلات اليهودية نحو الدولة الزيانية ، إذ بلغ عددها في القرن 08 هـ/14 م حوالي 140 رحلة ، نلخص أهمها في الجدول الموالي:(نميش، 2013 / 2014، صفحة 72)

جدول03:-يبين أهم الرحلات اليهودية نحو الدولة الزيانية خلال القرن 14-15م:

الوجهة	تلمسان	الجزائر	وهران	مستغانم	مزغران	تنس	شرشال
عدد الرحلات	26	24	22	19	18	15	04

المرجع:(بوعمامة، 2008 / 2009، الصفحات 230-231)

هذا الجدول يؤكد الملاحظة السابقة التي مفادها تركيز المعاملات التجارية لليهود مع مدن غرب المغرب الأوسط.

ب /ـ دور اليهود القادمين من الاندلس:

تذكر الاستاذة فاطمة بوعمامة في مذكرتها للدكتوراه (اليهود في المغرب الإسلامي) ، أنه مع نهاية القرن 08 هـ/14م برز دور اليهود القادمين من الأندلس ، والذين تميزوا عن غيرهم بالمهارة الفنية والتقنية التي زادت من ثراء المراكز السكنية الكبرى ببلاد المغرب (بوعمامة، 2008 / 2009، الصفحات 230-231)، وما يعلمه العام و الخاص أن اليهود معروفون بجمع المال وحرصهم عليه . (كورية، 1998، صفحة 131)

أما أهم ما ميّز تجار اليهود هو التعامل بالرّبا خاصة مع الأجانب (خليل، 1936، صفحة 233) وعرفوا أيضا بعمليات الصرف أو القرض التي كان يلجأ إليها المسلمون لتسريح الأسرى المحتجزين في الأراضي النصرانية (خليل، 1936، صفحة 443)، كما عرفوا أيضا بتجارة التجوّل أي البيع في الشوارع . (بوعمامة، 2008 / 2009، صفحة 233)

6ـ الأنشطة الاقتصادية وأبرز مدن المغرب الأوسط المستقطبة للتجار اليهود:

6 ـ1- الأنشطة الاقتصادية: و هي تشمل القطاعات التالية:

أ/- التجارة: تعتبر أهم نشاط اقتصادي مارسه اليهود ،والذين تمكنوا من السيطرة على أهم أسواق المغرب الأوسط كتاهرت وتلمسان وبجاية والجزائر ، وأكبر نصيب لهم كان في تجارة الذهب الذي كان يُجلب من بلاد السودان، ولذلك نجد أنهم غالبا ما كانوا يتحكمون في أهم الطرق والمسالك التجارية.

و نظرا لمساهمتهم في الاقتصاد كانت الحكومة تُعفيهم من الضرائب (الفاسي، د.ت، صفحة 167) وتحفزهم ،وبحكم أنهم كانوا من أهل الذّمة فالمطلوب منهم هو دفع الجزية ،والتي تعتبر مبلغا بسيطا بالمقارنة مع الأرباح التي كانوا يحصلون عليها ومع الامتيازات الممنوحة ، ومن أهم السلع التي اشتغل بها اليهود ببلاد المغرب الأوسط استيرادا تصديرا نجد: الصيرفة وتجارة العبيد (الاصطخري، 1381هـ، صفحة 34)- المعادن الثمينة والفضة والرصاص والزئبق - صناعة النسيج التي تشمل الألبسة والسجاد والحرير والجلود وغيرها. (كواتي، 1991/1990، صفحة 111)

ب /- الصناعة:

" شارك اليهود في النشاط الصناعي في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة وبصورة واضحة ، بحيث نجد أن اليهود تفرّدوا ببعض الصناعات عن غيرهم ومن أبرزها: صناعة الذهب والفضة والنحاس ومعظم الصّاغة في المغرب من اليهود".

ومن هنا نستنتج أن اليهود احتكروا بشكل شبه كلي ميدان الصناعة المعدنية وركزوا اهتمامهم عليها، وساعدهم على ذلك وفرة المواد الأولية وقرب المسالك التجارية .

ج/- الزراعة:

عَزف اليهود عن الاشتغال بهذا المجال ،فكما هو معروف أن خدمة الأرض تتطلب مجهودا وصبرا ومثابرة مع احتمالية عدم ضمان النتائج ، عكس التجارة فربحها مضمون وسريع في أغلب الأحيان ،خاصة وأن اليهود معروفون بالرّبا ، ويقول مسعود كواتي في هذا الصدد:" أما في المجال الزراعي فإن الإشارات المتعلقة بممارسة اليهود له قليلة نظرا لسكوت المصادر التاريخية عن دور أهل الذمة ببلاد المغرب" (كواتي، 1991/1990، الصفحات 147-149)

وإجمالا يمكن القول أن اليهود بطبعهم جبلوا على حب التجارة وممارسة بعض الحرف منذ القديم،ولا شك ان هذا الأمر لا زال سمة مميزة لهم إلى حدّ الساعة.

6 .2- أبرز مدن المغرب الأوسط المستقطبة للتجار اليهود:

أ/ـ تلمسان: مما لا شك فيه أن لسقوط الأندلس أثر كبير في توافد اليهود على مدينة تلمسان ،و هذا بحكم قربها الجغرافي وأهميتها الاقتصادية ولكونها ميناء تجاريا هاما بالمنطقة، بغض النظر عن أهميتها الدينية والروحية بالنسبة لليهود.

بمرور الوقت مارس اليهود التجارة بتلمسان التي أصبح ميناؤها من أهم موانئ البحر الأبيض المتوسط ، وتمكنوا من تكوين علاقات مع أوروبا والمشرق ونشطت المبادلات التجارية خلال تلك الفترة خاصة مع اسبانيا (شنوف، د.ت، صفحة 72)،و يقول الباحث محمد أمين عميرات بهذا الخصوص:" اشتهروا بصياغة الذهب والمتاجرة فيه وهو ما سمح لهم بتجميع الثروات... وتمكنوا من السيطرة على طريق الذهب الرابط بين تلمسان وسجلماسة وتوات وبلاد السودان الغربي." (عميرات، د.ت، الصفحات 165-166)

ب /ـ الجزائر:

تعتبر هذه المدينة من أهم موانئ المغرب الأوسط ، لذلك بدأت الهجرة اليهودية نحوها قبل عام 794ه/1391م ، حيث وفدت جماعة صغيرة من جزر البليار بعد أن تعرضوا للطرد من طرف ألفونسو الأرغوني ، أما في سنة743ه/1342م فقد وصل إلى مدينة الجزائر مهاجرون يهود من إيطاليا وغيرها من الأماكن (سعيدوني، 2003، الصفحات 62-63)

ويعود الفضل في ذلك من الحاخامين إسحاق برشيشا بَرخات وسيمون بن سماح دوران اللذان وضعا اللبنة الأولى والأساسية لتنظيم الجماعة اليهودية بمدينة الجزائر (سعيدوني، 2003، صفحة 64) .ولقد مارس يهود الأندلس بها عدة نشاطات كالخياطة و النسيج و صناعة الاقمشة والدلالة في الأسواق ونسخ الكتب وتجليدها وعملوا كأساكفة وحمّالين وكيّالين وصانعي خمور.

وعليه فإن تعدد الأنشطة اليهودية بما فيها المحرّمة والمنبوذة ـ هو أمر يُثير الاستغراب في نظرنا ـ ،وفيه دليل على حصول اليهود على كل التسهيلات بما في ذلك حسن المعاملة وعدم التضييق والحماية من طرف السلطة الحاكمة نفسها. (الخماش، 2016، صفحة 123)

ج/ـ بجاية:

عرفت هي الأخرى هجرات متزايدة ليهود الأندلس بعد سقوط غرناطة نظرا للعوامل التي سبق ذكرها ،والتي من بينها الموقع الاستراتيجي و مينائها التجاري، الأمر الذي سمح لها أن تكون حلقة ربط بين الدول الاسلامية المشرقية والمغربية

وكذلك مع الدول الأوروبية ،ممّا مكّن هذه المدينة من أن تتبوأ مكانة اقتصادية وكل هذا مردّه إلى سماحة الدين الإسلامي ومَنحه الحرية لغير المسلمين بممارسة الشعائر والأنشطة الاقتصادية ،وهو ما لم يحدث لليهود مع النصارى. (بوخاوش، 2014 / 20، صفحة 267)

ومن هذا المنطلق فقد ساهم يهود بجاية في الأنشطة الاقتصادية حيث:" كان يهود بجاية يستوردون الفضة الأوروبية الموجهة للصناعة التقليدية المحلية ، ومارسوا أيضا الوساطة على الملح والجلود والأقمشة والشمع والعبيد" (شنوف، د.ت، صفحة 71)،وما يمكن قوله في هذا الجانب أن هذه المدينة كانت تزخر بالموقع الهام في حوض المتوسط والميناء التجاري ، ممّا جعلها تسيل لُعاب اليهود الباحثين عن المال والثروة.

د/ـ قسنطينة:

كانت هي الأخرى موطنا للعديد من اللاجئين اليهود بعد سقوط غرناطة حيث ضمت هذه الأخيرة حوالي 40,000 نسمة إلى غاية نهاية القرن 16م. (بوخاوش، 2014 / 20، صفحة 268)

وهذا الرقم الذي ذكره المؤرخون والذي يبدو رقما مبالغا فيه خلال تلك الفترة كون قسنطينة ليست مدينة ساحلية أو ميناءا تجاريا ، لكنه من دون شك يعبر عن الأهمية الاقتصادية لهذه المدينة بالنسبة لليهود كغيرها من مدن المغرب الأوسط.

7ـ أثر اليهود اللاجئين من الأندلس على الحياة الاقتصادية بالمغرب الاوسط:

كان لسقوط الأندلس أثر على اقتصاد المغرب الأوسط ، فالمسيحيون الأوروبيون اعتبروا من طائفة اليهود مَعاول هدم للمجتمع المسيحي من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية بسبب ممارستهم الرّبا وأنانيتهم المعروفة.

وفي هذا السياق فقد عُرف يهود الأندلس بممارسة التجارة ومهاراتهم بها على المستويين الداخلي و الخارجي (التلمساني، 1968، الصفحات 286-287)، وعرفوا بتجارتهم ببلاد المغرب حتى قبل سقوط غرناطة ،و من بين التجار اليهود الذين ربطوا علاقات تجارية بين العدوتين إسحاق بن باروخ وأبو سعيد خلفون بن شنيل.

وبناء على سبق فإن يهود الأندلس بالمغرب الأوسط قد حافظوا على مهنتهم ،وعملوا على تكثيف نشاطهم الاقتصادي وتركيزه بالمدن الساحلية ،هدفهم في ذلك المال والثروة ،وللاشارة فقد كان بإمكانهم تحقيق نتائج أكثر ديمومة وإبهارا لو أنهم ابتعدوا عن الربا والغش.

ففي عهد الدولة الزيانية كان لليهود دور فعّال في الاقتصاد ،وهذه الأخيرة كانت تعتمد عليهم بحيث جعلت منهم أعوانا لها في جباية الأموال وقبض الأعشار ،إلا أن هؤلاء- اليهود- قد أخذوا هذه الأموال ووظفوها بغير حق ،وكانوا هم السبب في سقوطها.

ولم يقتصر نشاط الجالية اليهودية كما أسلفنا على المدن الساحلية فقط ،بل امتد نشاطها الى المدن الداخلية مثل: تقرت - بسكرة وتوات وغيرها (الوزان، 1983، صفحة 165)،وبمرور الايام شكل التجار اليهود مجموعة تجارية قوية بالبحر المتوسط ، واهتموا بعدة حرف وكانوا يقومون بتوزيع بضائعهم على تجار تلمسان لتسويقها ،الأمر الذي جعلهم يبسطون قبضتهم على تجارة الذهب ببلاد المغرب قاطبة.

تجدر الاشارة إلى ان اليهود المغاربة الأهالي اشتهروا بعدة حرف منها(بوخاوش، 2014 / 20، الصفحات 306-315):" الخياطة وصناعة السجاد والفخار والصباغة والحدادة والنقاشة وصناعة الصابون " (بشير، (د.ت)، الصفحات 87-93)،إلا أن النشاط الذي اشتهروا به أكثر هو بيع الملابس المصنوعة التي لقيت رواجا كبيرا بين مسلمي المغرب ، بسبب المهارة الفنية العالية التي تمتع بها هؤلاء اليهود.

وفي الأخير يمكن القول أن هؤلاء اليهود الاندلسيين الذين عملوا من دون شك مع اليهود الأهالي على تكوين ثروة ضخمة جراء الأنشطة التي كانوا يقومون بها ،ولسوء الحظ استغل هؤلاء اليهود هذه الثروات في دعم وتوحيد النصارى ضد المسلمين والعمل على اضعافهم وتشتيتهم.

8 ـ خاتمة:

من خلال تناولنا لهذا الموضوع توصلنا الى عدة نتائج نلخصها في النقاط التالية:

1ـ عرفت بلاد المغرب بعد سقوط غرناطة هجرات اضطرارية للاقلية اليهودية نحو مختلف مدنه لاسيما المغرب الأوسط ، والتي تركت أراضيها ووظائفها في الأندلس بعد حملات التطهير التي انتهجها النصارى الاسبان.

2ـ تميزت جلّ المدن الساحلية للمغرب الإسلامي ولا سيما مدن المغرب الأوسط بحكم الموقع الاستراتيجي ووفرة الموانئ والثروات ،والتي عرفت استقرار جاليات يهودية بأعداد معتبرة ،وصل صداها الى الصحراء الكبرى (توات وسجلماسة وغيرها) والمنطقة التي عرفت بالسودان الغربي ، واستطاعت أن تتحكم بطرق تجارة الذهب والفضة وكذلك الرقيق والتي كانت تربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب.

3ـ ظهر تأثير يهود الأندلس بصفة جلية في المجال الاقتصادي والتجاري بحكم أن اليهود اشتغلوا بالتجارة منذ القديم ، وما شجعهم على ممارستها في بلاد المغرب هو سماحة الدين الإسلامي ودعوته إلى حسن التعامل مع أهل الذمة من اليهود والنصارى ، ولم تُفرض عليهم أية قيود باستثناء دفعهم للجزية التي تعتبر مبلغا رمزيا وبسيط مقابل توفير الحماية لهم .

4ـ ازداد دور يهود الأندلس في المجتمع المغربي بعد أن عاشوا فترة من التضييق والتهميش ،فساهموا في الاقتصاد والتجارة بعد انقسام الدولة الموحدية إلى ثلاث دويلات ،ومن أبرزها الدولة الزيانية والتي في عهدها عَلت مكانتهم ولم يعد بالإمكان الاستغناء عن خدماتهم.

5ـ وبشكل عام فإن التأثير الاقتصادي ليهود الأندلس بالمغرب الأوسط أصبح حقيقة مفروضة على السكان الأمر الذي جعل منهم قوة سياسية واقتصادية ساهمت في تغيير أوضاع المنطقة والحقائق التاريخية كشفت أن اليهود كانوا الطرف الرئيسي في سقوط الأندلس بعدها بفترة ليست بالطويلة ، بسبب سيطرتهم على الاقتصاد وحركة رؤوس الأموال في حوض البحر المتوسط وهو ما مكّنهم من التحكم في مصائر الشعوب ومستقبلها ،ولا يختلف إثنان أن الأحداث التي عاشتها الأندلس وبلاد المغرب في تلك الفترة هي نفس الأحداث التي نعيشها اليوم ،وقد صدق من قال التاريخ يعيد نفسه.

9 ـ قائمة المراجع:

ـ المؤلفات:

1ـ القران الكريم

2ـ أبو إسحاق الثعلبي ،(2002) ،الكشف والبيان عن تفسير القرآن ،دار إحياء التراث العربي ،لبنان.

3ـ التلمساني المقري ،(1968) ،نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، دار صادر ،بيروت.

4- بشير عبد الرحمن ،(د.ت) ،اليهود في المغرب العربي(22-462 هـ/642-1070م) ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،(د.ب.ن).
5- الخولي أمين ،(2006) ،تاريخ الملل والنحل ، مكتبة الأسرة ،(د.ب.ن).
6- بن خليل عبد الباسط ،(1963) ،رحلة عبد الباسط بن خليل ،(د.د.ن) ،باريس.
7- رحال أحمد سالم ،(2008) ،فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلمود ، دار البداية ، الأردن.
8- ابن أبي زرع الفاسي ،(د.ت) ،الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،نسخة حجرية بمكتبة الأسد ،دمشق.
9- الزغبي أحمد ،(1998) ،العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها ، مكتبة العبيكان ،المملكة العربية السعودية.
10- سعيدوني ناصر الدين ،(2003) ،دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي ،لبنان.
11- سيد طنطاوي محمد ،(2000) ،بنو اسرائيل في الكتاب والسنة ،دار الشروق ،مصر.
12- شنوف عيسى ،(د.ت) ،يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود ،دار المعرفة ،الجزائر.
13- ظاظا حسن ،(1999) ،الشخصية الاسرائيلية ، دار القلم ،سوريا.
14- أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي،(2006) ، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن ،مؤسسة الرسالة ،بيروت.
15- ابن عذارى المراكشي ،(1980) ،البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،دار الثقافة ،لبنان .
16- عميرات محمد أمين ،(د.ت) ،هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الأوسط ،مركز الدراسات الأندلسية ، الجزائر.
17- عنان عبد الله ،(1990) ،دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي مصر.
18- فرج الله عبد الباري ،(د.ت) ،اليهودية بين الوحي الالهي والانحراف البشري ،دار الآفاق العربية (د.ب.ن).
19- أبو القاسم الاصطخري ،(1961) ،المسالك والممالك ،(د.د.ن) ،الجمهورية العربية المتحدة.

20- أبو القاسم الأصفهاني ، (د.ت) ،المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت.
21- لومبير موريس ،(1979) ،الإسلام في مجده الأول(ق 2-5 هـ/ 8-11 م) ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.
22- ابن منظور جمال الدين ،(د.ت) ،لسان العرب ، دار صادر، بيروت.
23- الميلي مبارك ،(1986) ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.
24- محمد الزغبي فتحي ،(1994) ،تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ،دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ،مصر.
25ـ الوزان الحسن ،(1983) ،وصف افريقيا ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت.
26- وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ،(د.ت) ،الموسوعة الفقهية الكويتية ،دار السلاسل ،الكويت.
27- يوسف كورية يعقوب ،(1998) ،يهود العراق تاريخهم أحوالهم هجرتهم ،الأهلية للنشر والتوزيع ،الاردن

ـ الأطروحات:

1ـ بوعمامة فاطمة ،(2009/2008) ،اليهود في المغرب الاسلامي (ق7-9 هـ/13-15 م) ،قسم التاريخ ،جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر.
2- بلبشير عمر ،(2010/2009) ،جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والاقصى (ق6-9 هـ/ 12- 15 م) من خلال كتاب المعيار للونشريسي ،قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية ،جامعة وهران ،الجزائر.
3- الخماش أريج ،(2006) ،الوجود اليهودي في الاندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف (184-138 هـ/755-1091 م)- دراسة تاريخية حضارية- ،قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية.
4- كواتي مسعود ،(1991/1990) ،اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح الى سقوط دولة الموحدين ، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،الجزائر.

5- نميش سميرة ،(2014/2013) ،دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(ق7-10 هـ/13-16 م) ،قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية ،جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان ،الجزائر.

ـ المقالات:

1- فوزي هشام،(جانفي 1996) ،يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي ،مجلة دراسات أندلسية ،تونس ، العدد 15.

ـ المراجع بالأجنبية:

1-Goitein Solomon DobFreitz,(1974) ,letters of Medieval jewish Traders , Princeton University Press,USA.

10 ـ الملاحق:

خريطة 01:-تبين حركة هجرة اليهود بعد قرار الطرد سنة 1492م.

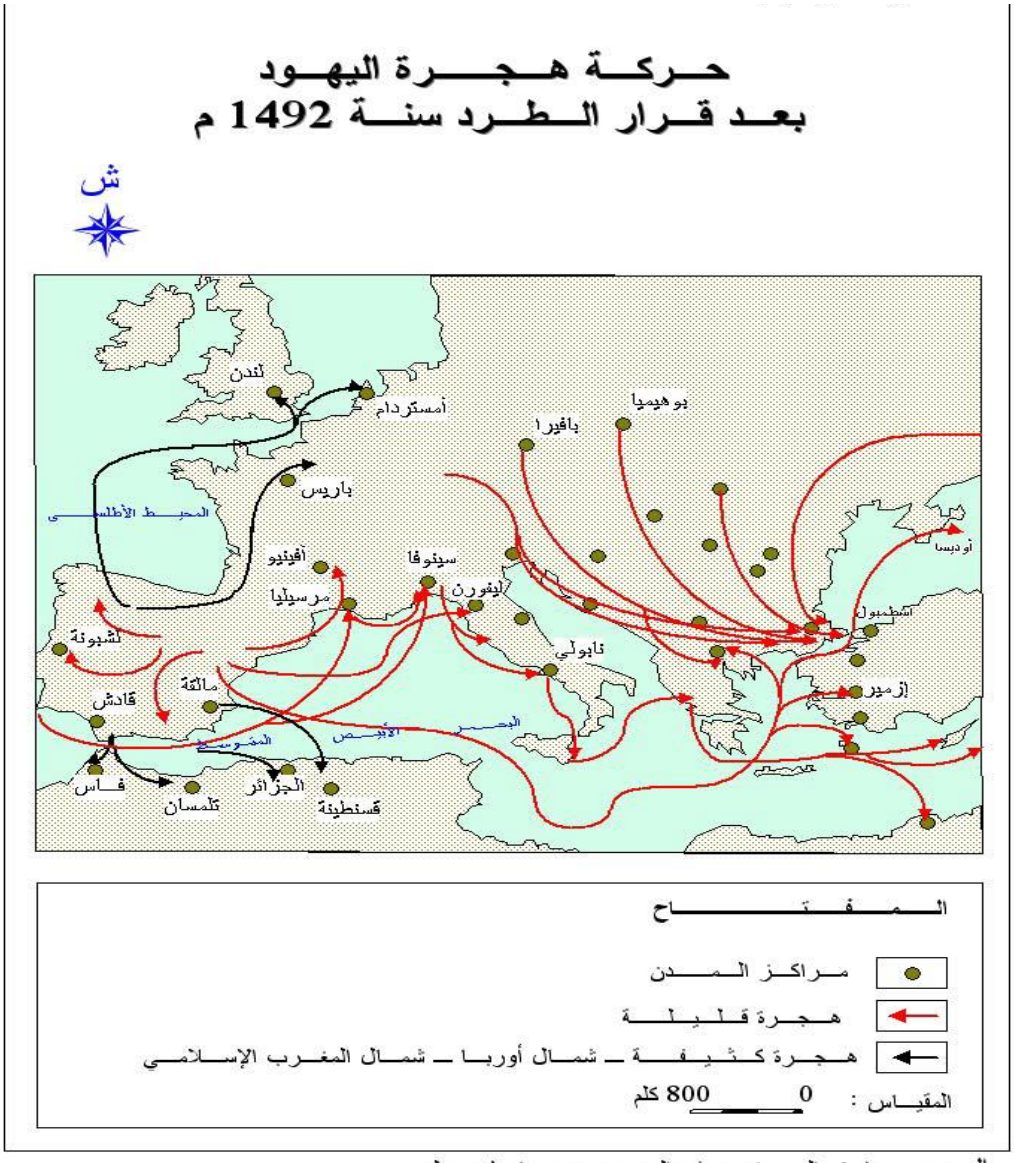

المصدر: المتحف اليهودي بإسطمبول

المرجع:ـ فاطمة بوعمامة ،المرجع السابق ،ص54.